بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسّر

عِلْم الفِرَق من علوم الكلام، وقد اهتمتّ به طائفة من أهل الفكر المشتغلين بالفلسفة من المسلمين والمستشرقين على السواء. والتأليف فى الفِرَق الإسلامية كان الإسلاميون فيه أسبق من أهل الديانات الأخرى. والكُتب فى الفرق الإسلامية من أشهر الكتب على المستوى العالمى، ومنهج المسلمين فى تدبيجها وتصنيفها من المناهج التى تُحتذى، وبعض هذه الكتب قد حاول مؤلفوها أن يكونوا محايدين وموضوعيين بقدر المستطاع، وبعضها أوجز مؤلفوها آراء أصحاب هذه الفرق وأوردوا منها مقتطفات،، وبعضها كان مصنفوها يناقشون هذه الآراء ولايكتفون بإيرادها، والبعض كان يردّ على أصحاب الفرق ويظهر تهافت آرائهم وتعارضها مع الدين. وبيان ذلك كله أن الفرق فى الإسلام إنما يختلف بعضها عن بعض بآراء ومذاهب : إما فى أصول الدين، وإما فى أصول الفقه، وإما فى الفلسفة، وإما فى أمور السياسة والحُكْم وقواعد العمران. وليس أدلّ على أهمية مااختلفوا بشأنه من قيام كل هذه الفرق التى استعصت على الحصر أحيانا، والتى استعصى رصد كل مذاهبها وأفكارها أحيانا أخرى.

❀❀❀❀❀

ومن الكُتب الثقات التى كتبها مصنفون كبار لهم وزنهم العلمى والفكرى كتاب الشهرستانى «**الملل والنحل**». والشهرستانى (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) شافعى المذهب، أشعرى الأصول. وكانت له مجالس علمية يؤمها الأفاضل والحكماء، وكان ما يلقيه فيها يُسجّل ويدوّن لخطره وعمقه، وقد ذكره **ابن تغرى بردى** فقال : كان الشهرستانى إمام عصره فى علم الكلام، عالما بفنون كثيرة من العلوم، وعليه تخرّج جماعة من العلماء. وذكره **ياقوت** فقال: إنه المتكلم الفيلسوف صاحب التصانيف. وقال عنه الشيخ **مصطفى عبد الرازق** : الشهرستانى من أهل الفلسفة الإسلامية.

❀❀❀❀❀

ومن هذه الكتب العظيمة أيضا **مقالات الإسلاميين** لشيخ أهل السنة والجماعة الإمام

أبى الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٣٠هـ، وقد أثنى عليه الإمام أحمد بن تيمية فى كتابيّه منهاج السنة المحمدية، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، مع أن الأشعرى كان منهجه فى كتابه منهج **أهل الفلسفة**، وحاول أن يوفق به بين مذهب أهل السنة ومذهب أهل العقل.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

واللافت للنظر فى كل المصنفات جليلة القدر عن الفِرَق الإسلامية أن واضعيها كانوا من أهل السنة كالشهرستاني والأشعرى السابقين، وكفخر الدين الرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٦٠٦هـ صاحب كتاب «**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**»، وابن حزم الأندلسى، الفقيه الظاهرى المتوفى سنة ٣٨٤هـ، صاحب كتاب «**الفصل فى الملل والنحل**»، وعبد القاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ، الإمام الأصولى، وصاحب كتاب «**الفَرْق بين الفِرَق**». وغير هؤلاء كثيرون لم يكن من بينهم مصنفون من الشيعة لهم هذا الوزن الفكرى الذى كان لمؤلفى الفِرَق من السنة. وليس مجالنا هنا أن نحصى كُتب الفرق السنية، وإنما مجالنا فى هذا البحث هو **فرق الشيعة** دون غيرها، والمصنفون من الشيعة الذين تناولوها. ومن هؤلاء على سبيل الحصر محمد بن هارون **أبو عيسى الورّاق** المتوفى سنة ٢٤٧ هـ، وكتابه هو «**المقالات**»، وله أيضا كتاب «**اختلاف الشيعة**»، **وأبو محمد الحسن بن موسى النَوْبختي** المتوفى نحو سنة ٣١٠هـ، والذى ننشر له كتابه «**فرق الشيعة**» وهو أفضل الكتب فى هذا المجال، وقد أشار إليه كثيرا أبو الفرج الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ فى كتابه تلبيس إبليس؛ **وأبو القاسم نصر بن الصباح البلخى** المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى، وقد روى عنه الكثيرون كتباً منها «**كتاب فرق الشيعة**»، **وأبو المظفر محمد بن أحمد النعيمى** وله «**كتاب فرق الشيعة**»، **وأبو طالب الأنبارى** المتوفى سنة ٣٥٦هـ، وله **كتاب « فرق الشيعة»** كذلك، **وسعد بن عبد الله أبى خلف الأشعرى القُمىّ** وكتابه «**فرق الشيعة**» من الكتب المعتبرة عندهم.

هذا إذن هو ماتيسر لنا من هذه الكتب، وما توردة المراجع الشيعية فى هذا المجال. والمقارنة بين كتب السنة وكتب الشيعة فى التصنيف للفرق يشهد بعلو كعب المؤلفين من السُنّة، وأن علم الفِرَق هو من علوم الكلام التى أجادوا وأبدعوا فيها. وقد أشاد بذلك وشهد به المستشرقون كافة.

وإذ حصلتُ على كتاب فرق الشيعة للنَوْبَختي، وكتاب فرق الشيعة للقُميّ فقد هالنى أن يكون الكتابان كتاباً واحدا، أو أن كتاب القمي على منوال كتاب النوبختي، فالكلام هو نفس الكلام، والطريقة هى نفسها، والمنهج هو ذاته. ففى الفقرة ٥٨ مثلا ينقل القُميّ عن النوبختي الفقرة بكاملها وتقع فى نحو أحد عشر سطرا، وهكذا دواليك فى كل الكتاب، الأمر الذى ظن معه المؤرخون أن كتاب القمي هو نفسه كتاب النوبختي، مع تزّيد أو شروح أضافها القمي هنا وهناك. وهو يضيف أحيانا فى عدد الفِرَق، وأحيانا أخرى يضيف فى الأفكار نفسها عن الفرقة. وقد قيل فى هذه الشروح والإضافات أن القمي كان شيعيا خالصا، وأنه كان محدّثا فقيها، وأما النوبختي فكان متكلما، ومن هنا كان هذا الاختلاف الذى ظهر بين الكتابين. غير أننا لم نجد مبررا للدعوى بأن القمي كان أكثر ثقة من النوبختي كما يزعم الدكتور محمد جواد مشكور، ولو كان كذلك لما ادّعى لنفسه كتاب النوبختي، أو لما نسبه إليه بعضهم، ولما استنكف أن يقتطف منه كتابه كله، ومجال ذلك مانسميه بالسرقات الأدبية. ومع ذلك لاأحسب أن القمي وقد كان عالما معتبرا قد جرؤ على انتحال مصنف النوبختي، والرأى عندى أن القمي كان يلقى محاضرات فى مجالسه عن الفِرَق، وكان أمامه كتاب النوبختي يقرأ منه ويزيده شرحا، ويوضح ماغمض من أسلوبه، ويستكمل الناقص. وكان تلاميذه يسجلون ذلك عنه. فلمّا نسخه الناسخون وضعوا على الكتاب والحواشى اسم القمي، ثم أورده المؤرخون بصورته الجديدة منسوبا إليه. وقد جاء اسم الكتاب «**فرق الشيعة**» كما هو عند النوبختي ضمن فهرست الشيخ الطوسى. وورد هكذا فى رجال النجاشى، ثم حلا للبعض أن يغير الاسم لسبب أو لآخر فذكروا أنه «**مقالات الإمامية، والفرق وأسمائها وصنوفها**»، ونشره **الدكتور محمد جواد مشكور** باسم «**كتاب المقالات والفرق**».

❀❀❀❀❀

ويبدو أن القمي كان معاصرا للنوبختي، ومن مقارنة أسلوب العالمين فى التأليف يتبين أن النوبختي كان شديد الإيمان بالله، فهو لايذكره دون أن يضيف إليه من أسمائه وصفاته مايظهر التقديس ويبين عن خالص العبودية، فيقول باستمرار «قال الله تعالى»، أو «وقد نبّه الله عز وجل»، أو «تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»، والقمي لايفعل ذلك ويذكر اسم الله

مجردا. وكذلك كلما جاء ذكر النبى فإن النوبختي يقول «صلى الله عليه وآله»، بينما يرد ذلك لماما عند القمي. وكذلك الشأن مع الأئمة ابتداءً من عليّ بن أبى طالب، فإن النوبختي يذكرهم ويقول باستمرار عليه أو عليهم السلام، وذلك لايحدث مع القمي إلا كلما تعلق ذلك بفرقته الإمامية، وأحيانا يقول بعد عليّ عليه الصلاة السلام، وذلك لايحدث مع النوبختي.

ونحن نميل إلى أن نردّ التشابه المفرط بين الكتابين إلى أن القمي كان يقرأ من كتاب النوبختي ويعلق عليه، أو أنه كان يملى من الكتاب ويورد مايشاء من الحواشى عليه، ودليلنا على ذلك هو أسلوب كل من النوبختي والقمي، والأخير بعد أن يورد نصّ النوبختي يزيد عليه ويسترسل فى الكلام، ولايربط بين أجزاء العبارة، وإنما تجئ عبارته بتقطيع الخطاب الإملائى - يقول مثلا فى فرقة المخمسة : وزعموا أن أربعة من هذه الخمسة تلبيس، لاحقيقة لها، والمعنى شخص محمد وصورته، لأنه أول شخص ظهر، وأول ناطق نطق، لم يزل بين خلقه موجودا بذاته، يتكون فى أى صورة شاء، ويظهر نفسه لخلقه فى صور شتى من صورة الذكران والإناث، والشيوخ والشباب، والكهول والأطفال، يظهر مرة والداً، ومرة ولداً، وماهو بوالد ولا بمولود، ويظهر فى الزوج والزوجة، وإنما أظهر نفسه بالإنسانية والبشرانية، لكى يكون لخلقه به أُنس، ولايستوحشوا ربهم».

هذا هو أسلوب القميّ، وواضح أنه أسلوب إملائى استرسالى خطابى، تعوزه أدوات الربط التى تميز الأسلوب الكتابى، وذلك من الاختلافات بين النوبختي والقمي، فكلما أراد القمي أن يتزيد فإنه يتخلى عن طريقة النوبختي وتكون له طريقته هذه المتميزة، وبذلك تصير لدينا فقرتان مختلفتان فى الأسلوب، واحدة وهى الأصل للنوبختي، والأخرى وهى الإضافة للقمي.

وفى الفقرة ١٤٤ مثلا يقول النوبختي فى نهايتها : وتأولوا فى ذلك قول الله تعالى **«قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة»** فالواجب أن تبدأ بهؤلاء ثم بسائر الناس، وعددهم كثير، إلا أنه لاشوكة لهم ولاقوة، وهم بسواد الكوفة واليمن أكثر، ولعلهم أن يكونوا زهاء مائة ألف». وينقلها القمي متزيداً وشارحاً : فتأولوا فى ذلك قوله تعالى **«قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة»**، فالواجب أن يبدأوا بهؤلاء الذين نصبوا إماما من ولد جعفر بن محمد غير إسماعيل وابنه محمد، ثم سائر الناس ممن نصب إماماً

من بنى هاشم وغيرهم، ثم بسائر الناس، وقد كثر عدد هؤلاء القرامطة، ولم يكن لهم شوكة ولاقوة، وكان كلهم بسواد الكوفة، وكثروا بعد ذلك باليمن ونواحى البحر واليمامة وما والاها، ودخل فيهم كثير من العرب، فقووا بهم وأظهروا أمرهم». ·

هذا إذن هو الفرق بين الكتابين والأسلوبين والطريقتين. وأحيانا يتناول التغيير بعض الألفاظ حيث يقول النوبختي مثلا «وقال بعضهم أنه قد مات، وأنه القائم، وأن فيه شبها من عيسى بن مريم صلى الله عليه»، فيغير القمّي ذلك قائلا «وقالت فرقة أنه قد مات، وأنه القائم، وأن فيه سِنة من عيسى بن مريم».

ومع ذلك فإن الزيادات والإضافات التى ألحقها القمي بكتاب النوبختي لهى ذات فائدة كبيرة لأنها تزيد المعنى وضوحا، ولأنه بها يورد أفكارا عن فرق الشيعة تجعلنا على بيّنة أكثر من تفكير أصحابها، ومن العصر الذى هى فيه عموما.

ومن أجل ذلك فقد رأيت أن أحقق الكتابيْن معا، فاستكمل الناقص عند النوبختي بالزيادة عند القمّي، وأصحح الخطأ الذى قد يرد هنا أو هناك، وأنقح النسختين حيث أن فيهما كلمات أو عبارات قد سقطت عند أحدهما ولم تسقط عند الآخر، وعلى ذلك فقد تعاملت مع الكتابين وأوردتهما فى هذه النسخة التى أقدمها للقارئ المهتم **ككتاب واحد**، وميّزت بين كلام كلٍ بأن جعلت الأصل هو كتاب النوبختي، وذلك أمر طبيعى، ثم وضعت الإضافات عند القمي بين قوسين هكذا[ ]، وأما تصحيحاتى على النص فقد أوردتها بين قوسين هكذا( )، ثم ألحقت بذلك كله هوامش هى جميعها من عندى.

❀❀❀

النَـوْبَخْتِـي

ومؤلف كتاب « **فرق الشيعة** » هو **أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي**، وعائلته النوبختية مشهورة بتخريج الكثير من المنجّمين، وأبوه كان منجّما، ومعنى اسم العائلة «**نوبخت**» «**الحظ الجديد**»، حيث «**نو**» بمعنى جديد كما فى الإنجليزية والفرنسية، (فاللغة الفارسية لغة آرية ترتبط باللغات الأوروبية)، و«**بخت**» هى نفسها كلمة بخت العربية أى الحظ، ومن الجائز إبدال الواو ياء فتقول نيبخت مثلما نفعل فى نوروز فتقول نيروز.

وتورد المراجع مثل فهرست النجاشي، وفهرست الطوسى : أن النوبختي متكلم فيلسوف، وله كتب فى الكلام والفلسفة يستدرك فيها على متكلمين من أمثال أبى الهذيل العلاف، وأصحاب المنزلة بين المنزلتين فى الوعيد، والمجسّمة، والواقفة، وجعفر بن حرب، وابن الراوندى. وقيل فيه إنه المبرز على نظرائه فى زمانه قبل الثلاثمئة وبعدها، وأنه من أفاضل رأس الثلاثمئة الهجرية.

وللنوبختي كتاب «اختصار الكون والفساد» لأرسطاليس، و«التوحيد»، و«الجامع فى الإمامة»، و«الرد على أصحاب التناسخ»، و«الرد على الغلاة»، و«الرد على فِرَق الشيعة»، و«فرق الشيعة» وهو هذا الكتاب الذى ننشره هنا والذى ذكره الإمام ابن تيمية فى كتابه «منهاج السنة».

❀❀❀

القُمِّي

وأما القُمّي فهو : **سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى**، قيل إنه عربى الأصل وليس كالنوبختي الفارسى، وأنه ينتسب إلى بنى الأشعر من قبائل اليمن، وقيل إنه سمى كذلك لأن أمه ولدته كثير الشعر على بدنه. وقيل إن أول من هاجر من العرب إلى قم أخَوَان يقال لأحدهما **عبد الله** والآخر **الأحوص** سنة ٦٢هـ، وقال **ياقوت** إن أول من مصّر قم هو **طلحة بن الأحوص الأشعرى** فى أيام الحجاج سنة ٨٣هـ، وأن اسمها كان **كمندان** فحرّفها العرب فى النطق إلى **قم** وأسقطوا دان، وأن عبد الله بن سعد هو الذى أدخل التشيّع إليها حتى صار كل أهلها من الشيعة. ويروى **الدكتور مشكور** عن ذلك حكاية يصفها بأنها «**طريفة**» وهى أن أحد ولاتها كان سنيًا، فاغتاظ أن يكون كل أهلها من الشيعة، وأنهم يسبّون الصحابة، ولايسمون أولادهم باسم أبى بكر وعمر، فأقسم أن يفعل بهم كيت وكيت إن لم يحضروا له رجلا باسم أبى بكر أو عمر، ففتشوا إلى أن عثروا على صعلوك حافٍ أحول من أقبح خلق الله باسم أبى بكر!! والحكاية ليست «**طريفه**» كما نرى ولكنها تفصح عن تعصب وبُغض شديدين. وكنتُ فى كتابى عن «**عمر الخيام**» قد ذكرت أن الخيام أصله عربى، واستدللت على ذلك باسمه «**عمر**»، وقلتُ إن الشيعة فى إيران لايسمون أولادهم باسم الشيخين أبى بكر وعمر، ومن ثم فلابد أن هذا الاسم قد أطلقه والد الخيام عليه لأنه عربى أولاً، وهو ثانيا سنّى.